(3) صهيب الرومي رضي الله عنه

أتى أبو سفيان بن حرب يوماً المدينة المنورة في فترة الهدنة بعد صلح الحديبية ، وكان وقتها لازال على شركه، فمر مع نفر[1] معه من المشركين على سلمان الفارسي، وبلال بن رباح الحبشي ، وصهيب الرومي ، فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها . فقال لهم أبوبكر الصديق رضي الله عنه : وكان جالساً معهم : أتقولون هذا لشيخ قريش ، وسيدهم ؟

فأتى النبي ﷺ فأخبره بما حدث . فقال النبي ﷺ : « يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد اغضبت ربك » فعاد إليهم أبوبكر رضي الله عنه ، فقال : يا اخوتاه ! أغضبتكم ؟ قالوا : لا . يغفر الله لك يا أخي .

صهيب بن سنان الرومي صحابي جليل الذي يغضبه فكأنما أغضب الله تعالى ، وهو سابق الروم إلى الجنة باع نفسه لله تعالى وأنزل الله في حقه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة . والأسئلة التي نطرحها ، هل هو حقًا رومي ، أم من العرب ؟

فإذا كان من العرب فكيف جاء هذا اللقب ؟

وإذا كان من الروم فكيف جاء إلى أرض العرب ؟

ما هي قصه إسلامه ، وحياته وفضائله ؟

هيا بنا نقلب الأوراق لنعرف إجابات هذه الأسئلة وغيرها .

* * *

هاجر أجداد صهيب قديماً من أرض العرب إلى العراق ، وكانت وقتها تابعة لبلاد فارس وذلك قبل البعثة النبوية بسنوات كثيرة . وقبل البعثة بسنوات كان سنان والد صهيب حاكماً من قبل كسرى ملك الفرس على الأُبُلّة ، وهي مدينة عراقية قديمة أصبحت اليوم جزءاً من البصرة .

---

(1) النفر : عدد من ثلاثة إلى عشرة .

ولد صهيب في قصر أبيه ، حيث النعيم والترف ، وقد شهد القصر الطفولة المبكرة لصهيب ذلك الطفل الأبيض الوجه باشراق وصفاء، وصاحب الشعر الأحمر الغزير .

عاش صهيب طفولة سعيدة مترفة لا يعكرها شيء . ولكن لم يدم هذا النعيم طويلاً إذ عندما كان صهيب في الخامسة من عمره أغارت [1] الروم على الأبلة ، وأخذوا صهيباً أسيراً معهم إلى بلادهم وهناك نشأ وشب وتعلم لغتهم وصارت بلسانه لَكْنة[2] رومية ، ولكن هذا لم يمحو من ذاكرته أنه عربي الأصل، فليس بفارسي كما ولد ونما ، وليس برومي كما نشأ وشب .

بيع صهيب في أسواق الرقيق ببلاد الروم وانتقل من سيد إلى سيد حتى وصل إلى مكة المكرمة ، فاشتراه عبد الله بن جدعان ، فوجد فيه الشاب الأمين النابه الذكي ، والمخلص الوفي ، هكذا يدل سلوكه ، وتنم أخلاقه ، فأعتقه وحرره وأتاح له فرصة العمل معه في التجارة ، فأظهر أمانة عالية في البيع والشراء ، وسماحة في التعامل والمقاضاة فكثر ماله بعد قلة، وازداد بعد نقص ، ولما لا وهو ذو العقل الراجح الذي يضع الأمور في نصابها الصحيح ، ويزنها ويضعها في موضعها الدقيق .

وها هو ذا عقله الراجح يقوده إلى طريق الخير والنور والهداية ، وذلك عند ظهور الإسلام .

***

عاش صهيب في مكة المكرمة ، وخَبَر رجالها وأخلاقياتهم ، وكان يسمع عن محمد بن عبد الله ذلك الذي يلقبونه بالصادق الأمين ، الذي ينال حب واحترام الجميع ، وكان صهيب يرى فيه الصورة المثالية التي ينبغي أن يكون عليها كل إنسان حتى تستقيم الحياة .

وعندما بعث الرسول ﷺ برسالته ، وانتشر خبر الدين الجديد ، تناقل الناس في

---

(1) أغار : هجم .

(2) لكنة : ثقل في النطق ، وصعوبة في الإفصاح بالعربية .

أحاديثهم وجلساتهم هذا الأمر ، وسمع به صهيب رضي الله عنه شأنه شأن كل سامع ، وكان يعلم أن محمد بن عبد الله لا ينطق لسانه بكذب ، فما يقول إلا صدقاً ولا يتلفظ إلا حقاً .

سأل صهيب رضي الله عنه عن مبادئ هذا الدين ، بطريقة غير مباشرة ، زبائنه من المشترين ، فعلم أنه دين يدعو إلى مكارم الأخلاق ، والحق ، والعدل ، والمساواة ، والإحسان ، وينهي عن الفحشاء ، والمنكر ، والبغي ، والظلم ، والعدوان .

فقال في نفسه : إن ديناً كهذا لجدير بالإتّباع والدخول فيه ، والدفاع عنه ، والصبر عليه حتى يظهره الله تعالى . وقرر صهيب رضي الله عنه الدخول في هذا الدين ، وكان يعلم أن محمد بن عبد الله ﷺ يجتمع مع أتباعه في دار الأرقم بن أبي الأرقم فذهب إلى هناك مستخفياً ، يحذر أن يرصده أحد ، وعند الباب كانت المفاجأة .

***

على باب الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه التقى صهيب بن سنان رضي الله عنه بعمار بن ياسر رضي الله عنه كلاً منهما يريد الدخول على رسول الله ﷺ ، والنطق بالشهادتين ، والدخول في الإسلام ، ويبدو أن كلاً منهما كان يحذر الآخر ويتوجس منه خيفة ، ولذا كان بينهما الحوار التالي :

- عمار رضي الله عنه : ماذا تريد يا صهيب ؟

- صهيب رضي الله عنه : وأنت ماذا تريد ؟

- عمار رضي الله عنه : أريد أن ادخل على محمد فاسمع كلامه .

- صهيب رضي الله عنه : وأنا أريد ذلك ، ولكن هل تبعك أحد ؟

- عمار رضي الله عنه : ليس من أحد سواك جاء خلفي ، فهيا ندخل على الصادق ونسمع منه .

ودخلا على رسول الله ﷺ واستمعا إليه وهو يتلو القرآن الكريم ، ويعرض عليهما الإسلام ، فأسلما ودخلا في دين الله ، ظلا يومهما ، وعندما حل المساء خرجا مستخفيين كما دخلا .

وكان صهيب رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام ، وكان أيضاً من المستضعفين

الذين أوذوا وعذبوا في سبيل هذا الدين ، وكان أيضاً من الصابرين الثابتين على الحق ، ولم يشفع له حِلْفه السابق مع عبد الله بن جدعان .

ظل صهيب في مكة المكرمة ، فلم يهاجر إلى الحبشة في المرة الأولى أو الثانية ، تحمل العذاب والشدائد رافضاً العودة من النور إلى الظلمات ، ومن الهدى إلى الضلالة ، حتى أذن الله تعالى للنور أن يشرق في مكان جديد ، فكانت الهجرة إلى المدينة المنورة .

هاجر المستضعفون وجميع المسلمين من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم بعد أن أصبحت المدينة المنورة الأرض الخصبة لنمو الإسلام ، وكان من المفترض أن يهاجر صهيب مع من هاجر إلا أنه حدث ما أخّر هجرته ولم يهاجر إلا بعد هجرة الرسول ﷺ ، ولهجرته حكاية جديرة بالرواية .

* * *

تسلل [1] صهيب من بيته ، واعتلى ناقته وخرج بها من مكة تحت جنح الظلام محاولاً اللحوق برسول الله ﷺ الذي سبقه بقليل إلى المدينة المنورة ولكن ما أن أشرق الصباح إلا وشعر بخروجه بعض أهل مكة ، فارسلوا خلفه من يأتى به . ويمضي صهيب رضي الله عنه في طريقه والطالبون خلفه حتى لحقوا به ، فأخرج سهامه وكنانته [2] ، واستوقفهم فوقفوا وناداهم .

قائلاً : يا معشر قريش تعلمون أني من أرماكم وأكثركم إصابة . . . ووالله لن تصلوا حتى أرميكم بكل سهم معي ، وأضع في كل رجل منكم سهماً ، ثم أقاتلكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، وإن شئتم دللتكم على مالي ، فخذوه وخلوا سبيلي . فقالوا له : نعم ، لقد أتيتنا صعلوكاً [3] فقيراً لا تملك مالاً فامتلكت مالاً ، وكثر مالك عندنا ، وتخرج من بيننا بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك أبداً .

---

(1) تسلل : خرج خفية .

(2) الكنانة : وعاء توضع فيه السهام .

(3) الصعلوك : الضعيف الفقير .

فقال صهيب رضي الله عنه : فمالي لكم على أن تتركوني وشأني . فقالوا : وأين هو ؟ فقال : لقد وضعت مالي أسفل عتبة باب منزلي ، فاحفروا وخذوه .

وعاد القرشيون يأخذون مال صهيب رضي الله عنه مصدقين ما أخبرهم به ، أما هو فمضى في طريقه يجد السير حتى لحق برسول الله ﷺ عند قباء [1] لم يدخل المدينة بعد . فتلقاه رسول الله ﷺ بابتسامته المعهودة .

وقال له : ربح البيع أبا يحيي . . ربح البيع أبا يحيي . ثم تلا قول الله تعالى الذي نزل في حق صهيب رضي الله عنه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة : 207] .

كلمات نيرات نزلت في حق رجل باع الدنيا بالآخرة ، و ضحى بماله كله في سبيل صحبة الرسول ﷺ ، بل هو على استعداد أن يضحي بحياته فداءً لدين الله تعالى . كلمات تتلي إلى يوم القيامة .

* * *

عاش صهيب بن سنان رضي الله عنه مع اخوانه المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة ، وكان من أهل الصُّفّة ، وهم فقراء المهاجرين الذين كانوا يأوون إلى مسجد المدينة ويرعاهم الرسول ﷺ .

وكان رضي الله عنه ورعاً تقياً فاضلاً ملازمًا لرسول الله ﷺ ، فقد شهد غزوات بدر وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وها هو يقول عن نفسه : ما شهد رسول الله ﷺ مشهداً قط ، إلا كنت حاضراً معه ، ولا بايع بيعة قط إلا كنت حاضرها ، وما سار بسريه قط إلا كنت معه ، ولا غزا غزوة قط إلا كنت عن يمينه أو شماله فيها ، وما خاف المسلمون من أمامهم قط إلا وكنت أمامهم ، ولا خافوا خلفهم قط إلا وكنت خلفهم ، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط حتى توفي .

وكان صهيب رضي الله عنه مع شجاعته يمتلك روح الدعابة ، وحضور البديهة ،

---

(1) قباء : موضع قرب المدينة على بعد ميلين منها .

وحسن الخلق ، فيروى أنه ذات يوم ـ وكان بإحدى عينيه رمد ـ أتى النبي ﷺ فوجده مع أصحابه وبين أيديهم تمر فجلس وأكل معهم ، فداعبه رسول الله ﷺ : « أتأكل التمر وأنت أرمد »

فأجاب صهيب رضي الله عنه : إنما أكل على شق عيني الصحيحة . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه [1] .

بعد وفاة رسول الله ﷺ واصل صهيب رضي الله عنه جهاده وحياته في خلافة الصديق رضي الله عنه حتى توفاه الله تعالى ، وتولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان يحب صهيباً ، ويقربه منه دائماً .

وكان صهيب رضي الله عنه منفقاً للمال مطعماً للطعام ، جواداً كريماً ، وكانت بلسانه لكنة الروم لا تزال ملازمة له ، وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل يوما بستانًا لصهيب مع مولاه أسْلَم فلما رآهما صهيب رضي الله عنه سلما عليهما ونادى غلاماً له يسمى يُحنس فخرجت من لسانه هكذا « يُهَنَّسْ » فقال عمر رضي الله عنه بتعجب : ماله يدعو بالناس ؟

فقال أسلم : يا أمير المؤمنين ، إنما يدعو غلاماً له يسمى يُحَنّس وإنما قال ذلك لعقدة في لسانه . فقال عمر رضي الله عنه مخاطباً صهيب : ما فيك شيء أعيبه يا صهيب إلا ثلاث خصال لولاهن ما قدمت عليك أحداً .

فقال صهيب رضي الله عنه : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر رضي الله عنه : أراك تنتسب عربياً ولسانك أعجمي ، وتكنى بأبي يحيى وهو اسم نبي ، وتبذر مالك .

فقال صهيب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين أما تبذير مالي فما أنفقه إلا في حقه ، وإن رسول الله ﷺ كان يقول : « . . . خياركم من أطعم الطعام ورد السلام » ، وأما اكتنائي بأبي يحيي ، فإن رسول الله ﷺ كنّاني بأبي يحيي فلن أتركها ، وأما انتمائي إلى العرب فإن الروم سبتني صغيراً ، فأخذت لسانهم ولهجتهم ولا حيلة لي في ذلك ، وأنا رجل من النّمربن قاسط (قبيلة عربية) فقال عمر رضي الله عنه : صدقت .

---

(1) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو الأضراس والمعنى أنه استغرق في الضحك .

وبلغ من تقدير عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعرفته بفضل صهيب ومكانته ورجاحة عقله ، وحسن الظن به أنه لما طُعن بيد أبي لؤلؤة المجوسي أوصى أن يصلي بالناس صهيب، حتى ينتهي أهل الشورى الستة من اختيار الخليفة وأوصى كذلك أن يصلي عليه صلاة الجنازة .

وذهب عمر رضي الله عنه للقاء ربه ،ودفن مع صاحبيه ، وتولي الخلافة بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعده على رضي الله عنه وفي خلافة على رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين للهجرة توفي رحمه الله تعالى وعمره ثلاث وسبعين سنة ، ودفن بالمدينة المنورة بالبقيع بجوار الصحابة الكرام عليهم من الله الرضوان .

رحم الله تعالى أبا يحيي صهيب بن سنان الرومي السابق إلى الإسلام ، والسابق إلى الجنة ، وسلام عليه في الأولين والآخرين .

*** من فضائل صهيب بن سنان رضي الله عنه .**

(1) دخل صهيب رضي الله عنه قادما من مكة مهاجراً إلى النبي ﷺ فقال له : « **ربح البيع أبا يحيى . ربح البيع أبا يحيى** » أخرجه البيهقي والطبراني وأبو نعيم .

* * *